



الحكمة من توزيع النبي ﷺ شعره بين الصحابة

رسول الله محمد ﷺ كُله بركة، وقد حرص عليه الصلاة والسلام على استبقاء أثر شريف في الأمة، ليكون بركة مستمرة على تعاقب السنين، فقد أمر من يوزع شعره على الصحابة، ووزع هو بنفسه بعضها، فجزى الله عنا هذا النبي العطف الحنون كل خير، فصلُّوا وسلموا على الحبيب وأكثرُوا.

وتفصيل ذلك أن الإمامين^(١) البخاري ومسلمًا رويَا في صحيحيهما أن سيدنا أبا القاسم رسول الله ﷺ لَمَّا حلق شعره في حجة الوداع أمر الحلاق أبا طلحة الأنصاري بتقسيم شعره الشريف بين الصحابة، فصار هذا يأخذ شعرة والأخر شعرتين، وهكذا.

وهذه نقاط رئيسة نقف عندها ونحن نقرأ هذه الرواية الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ:

١ - الحديث صحيح لا غُبار عليه ولا لبس فيه، رواه البخاري ومسلم وغيرهما أيضًا.

٢ - تقسيم الشعر بين الناس كان بطلب من رسول الله

ﷺ

(١) سبق تخرجه.



٣ - الشعر لا يؤكل ولا يزرع بحسب العادة، وإنما الوارد في الأثر أن المطلوب من الشخص عادة أن يدفن شعرةً وأظافره وفضلات لحمه في التراب.

٤ - الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي أرشد الصحابة إلى ترك عادات الجاهلية القبيحة، وهو الذي علّمهم أن الله هو الذي يعظّم التعظيم المطلق، وأن الأنبياء عباد لله؛ ومع ذلك كلّه أمر بتوزيع شعره على الصحابة، فحاشا أن يكون فعل رسول الله عليه الصلاة والسلام من الوثنية.

٥ - الرسول عليه الصلاة والسلام ما كان يستغفر لأمه وأبيه مع أنهما مؤمنان خشية أن يستغفر الصحابة لأبائهم المشركين الذين ماتوا على الكفر، ومع ذلك لم ير رسول الله عليه الصلاة والسلام في توزيع شعره على الصحابة باباً أو ذريعة أو مقدّمة ليشركوا بالله ويعبدوه هو ﷺ.

٦ - الرسول عليه الصلاة والسلام هو أعلم الناس بالدين، وهو أشد الناس عداً للشيطان، وبطلب توزيع شعره بين الناس لم يفتح مجالاً للشيطان ليوسوس للناس بعبادته وتأليه والعياذ بالله.

٧ - الحكمة من توزيع شعره عليه الصلاة والسلام بين الصحابة أن يكون هذا الشعرُ بقيةً باقيةً منه بين المسلمين وبركةً مستمرةً بينهم إلى يوم القيامة.

وهاهم الصحابة يحتفظون بشعره الشريف عليه الصلاة والسلام، فهذا يضعه في قلنسوته بركةً في جهاده، وذاك يضعه في ثيابه، والآخر في قارورة عنده، والرابع يكتحل به عند مرضه، والخامس يبرّك بها عياله، والسادس يُريها من لم

يَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ، والأخير يوصي بها أن تُدفن معه. واستمرّ المؤمنون من أيام الصحابة إلى يومنا هذا يتبرّكون بأثاره الشريفة عليه الصلاة والسلام وبشعره الشريف خصوصاً، مُدركين قيمة ومعنى أن يطلب الرسول عليه الصلاة والسلام تقسيمَ شعره بين الناس، وأن يقسم بعض شعره - بنفسه - بين الناس.

والمسلمون في مصر وسوريا ولبنان والأردن والعراق وفلسطين واليمن والمغرب وليبيا والجزائر والسودان وتركيا والهند والباكستان وبنغلادش ومكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرها من بلاد الله تعوّدوا أن يتبركوا بشعر رسول الله ﷺ في يوم مخصوص وعند نزول البلاء ولأجل التداوي ونحو ذلك، وأمة محمد عليه الصلاة والسلام لا تجتمع على ضلالة، والحمد لله على ذلك.

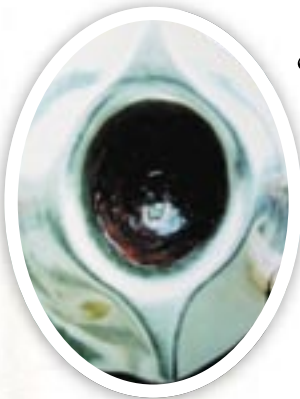
فبعد ذلك كله لا يُلتفت إلى محروم من البركة يُحرّم التبرك بشعر رسول الله ﷺ وءثاره الشريفة بدعوى سدّ الذرائع، فالمسلمون في كل الدنيا يعبدون الله وحده، ويحبون رسوله العطوف ﷺ، ويتشوقون لرؤيته، ويتبرّكون بشعره الطاهر المبارك طلباً للمنافع التي يَخْلُقُهَا اللَّهُ وَحْدَهُ إكراماً لحبيبه المصطفى ﷺ.



أدلة شرعية على جواز التبرك بالأنبياء والصالحين وءآثارهم

فيما يلي بعض اللّمع التي يُستدل بها على جواز التبرك بالأنبياء والصالحين وءآثارهم :

١ - الحجر الأسود لذاته حجر مبارك، أصله من الجنة، أهبط مع آدم عليه السلام، لا يخلق نفعاً ولا ضرراً لأحد، غير أنّ رسول الله ﷺ بعدما قبّله أصبح الناس يقبلونه في كل شوط في الطّواف، وكانوا وما زالوا إذا ما عجزوا عن تقبيله قبّلوا ما يُشبهون به إليه، وإن كان عصاً أو حديدًا أو يدًا.



الحجر الأسود المبارك

٢ - يماثل الحجر الأسود ذات البيت المبارك، أي الكعبة، فهو من حيث ذاته بناء كباقي الأبنية ولكن الله عظمه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ۖ﴾ (سورة آل عمران) حتى سمت درجته على باقي البيوت، وتميّز على سائر الأمكنة، وصار الناس يطوفون حوله ويتخذونه قبلة التزاماً بأمر الله.



مقام إبراهيم عليه السلام

٣ - مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام هو كذلك حجر أصله من الجنة، أهبط مع آدم عليه السلام، فيه يظهر قدم إبراهيم عليه السلام في الصخرة الصماء. ولولا أن المولى عز وجل أمر باتخاذة مصلىً وعظمه بقوله: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ

يَنْتُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٧﴾ (سورة آل عمران) لَمَّا صَلَّيْنَا خَلْفَهُ وَلَا عَظْمَانَاهُ ذَلِكَ
التعظيم. فإذا كان هذا في الحجر الذي وقف عليه إبراهيم عليه السلام، فكيف
بمكان سجود سيدنا محمد ﷺ؟

٤ - صلى رسول الله سيدنا محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج في بيت لحم
حيث وُلد عيسى عليه السلام. والموضع الذي ولد فيه النبي محمد أو صلَّى
فيه وكذلك قَبْرُهُ الشريف أعظم بركةً من باب أولى ولا شك.

٥ - قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (سورة الإسراء).

٦ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (سورة طه).

٧ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (سورة البقرة).

٨ - تعظيم القرءان لشأن عصا موسى عليه السلام.

٩ - قميص يوسف عليه السلام، قال الله تعالى إخبارًا عن يوسف عليه السلام:
﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ
الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾. (سورة يوسف)

فإذا كانت هذه البركة العظيمة والشفاء الكبير ليعقوب النبي عليه السلام حصل
بالقاء قميص سيدنا يوسف عليه السلام على وجهه، لأن هذا القميص مسَّ جسد
يوسف عليه السلام، فكيف بقميص نبي الله محمد ﷺ، وما كان من آثاره الشريفة
أو شعره المبارك، فهو بلا شك أكبر بركةً وأعظم فائدةً، لأن شعره الشريف خرج
من جسده ﷺ، والنبي ﷺ كله بركة بلا شك، وهذا دليل من القرءان على حصول
الشفاء وذهاب الأمراض الشديدة بآثار الأنبياء والصالحين بإذن الله.

١٠ - تعظیم النبی ﷺ لقدر ماء زمزم.

قال رسول الله ﷺ: « ماء زمزم لِمَا شُرِبَ لَهُ »^(١).



بئر زمزم المبارك

وقد أطبقت وأجمعت الأمة على جواز التبرك بها، والدعاء عند التبرك بها. وقد قال رسول الله ﷺ: « من شَدَّ شَدَّ إِلَى النَّارِ » رواه الترمذي^(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ومما يؤكد على استجابة الدعاء في الأماكن الفاضلة ما قاله الإمام الحسن البصري رحمه الله في رسالته المشهورة إلى أهل مكة: إن الدعاء يستجاب هناك في خمسة عشر موضعاً: في الطواف، وعند الملتزم، وتحت الميزاب، وفي البيت، وعند زمزم، وعلى الصفا والمروة، وفي السعي، وخلف المقام، وفي عرفة، وفي المزدلفة، وفي منى، عند الجمرات الثلاث.

وقد ذكر الإمام شمس الدين محمد بن محمد الجزري في كتابه «عدة الحصن الحصين» أماكن لإجابة الدعاء: عند رؤية الكعبة، وفي المساجد الثلاثة، وفي الطواف، وعند الملتزم، وفي داخلها، وفي البيت، وعند زمزم، وعلى الصفا والمروة، وفي المسعى، وخلف المقام، وفي عرفات، والمزدلفة، ومنى، وعند الجمرات الثلاث، وعند قبور الأنبياء؛ وجُربَّت استجابة الدعاء عند قبور الصالحين.

(١) رواه ابن ماجه: المناسك: باب الشرب من زمزم. وأحمد في المسند. والبيهقي في السنن. وصححه ابن عيِّنة والسيوطي في حاشيته على سنن ابن ماجه.
(٢) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الفتن: باب ما جاء في لزوم الجماعة.

١١ - قال الحافظ ابن عساكر^(١): ذكر الخطيب بن حملة أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، وأن بلاً رضي الله عنه وضع خديه عليه أيضاً.

١٢ - في عمدة القاري^(٢) شرح صحيح البخاري لليني: «وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به، وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم، فكيف بمقادير الصحابة؟ وكيف بأثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟».

١٣ - قال المحب الطبري^(٣): «ويمكن أن يستنبط من تقبيل الحجر واستلام الأركان جواز تقبيل ما في تقبيله تعظيم الله تعالى، فإنه إن لم يرد فيه خبر بالندب لم يرد بالكرهية، قال: وقد رأيت في بعض تعاليق جدي محمد بن أبي بكر عن الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الصيف أن بعضهم كان إذا رأى المصاحف قبلها، وإذا رأى أجزاء الحديث قبلها، وإذا رأى قبور الصالحين قبلها، قال: ولا يبعد هذا - والله أعلم - في كل ما فيه تعظيم لله تعالى» اهـ.

١٤ - أخرج البخاري في صحيحه^(٤) بإسناده إلى سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة، فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة، فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشيتها، فقالت المرأة: يا رسول الله أكسوك هذه، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها فلبسها، فراءها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها،

(١) التحفة (م ٤/١٤٥).

(٢) انظر «عمدة القاري»: كتاب الحج: باب ما ذكر في الحجر الأسود (م ٥/ج ٩/ص ٢٤١)، ط دار الفكر.

(٣) عمدة القاري (ج ٩/٢٤١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب اللباس: باب البرود والخبر والشملة.